

## الوصايا في عشق النساء

أحمد الشهاوي \*

لا تمنحي سلالك في دفقة، فإنَّ المحبة ترقى وتتدرج، فجاهدي، وصفي باطنك، افتحي عين قلبك، واغلقي عينيك، ففي عتمتهما ترى ذاتك في عليين، اكشفي عنك غطاءك، أوقدي شموع روحك، أنصتي لموسيقى جسدك، شمي بقلبك رائحته، يحبك، يثقه في بحر بوطن بصائرهِ، هيّجي عشقه بغلبة الشوق.

\*

اعرفي بحواسك، فالحواسُ ألماسُ الجسد، لا تكذب ولا يمرُّ الكذب من جهازها، الأصابع تختبر، والعين تكشف العين وتخرقها، واللسان لا يُغيّب المعنى، وإنما يدوق ويحل، ومن ثمَّ تحلين فيمن تعشقين.

\*

ليكن عالمك الباطني واسعاً لا يُحدُّ، ليستقبل ويفرز، يمحو ويُبقي، وليكن إيمانك عميقاً، بأنَّ لك أكثر من صورة، وأكثر من اسم، لحظة تعتم فيها الغرفة، وتضاء روحك، وتنسرجُ شمعة نائية في ركنها، هيئي ذاتك بحوار في المحبة، وأكثر من الملامسة، تدركي ما لا يدرك، لتكن طقوسك فريدة تخصك، تنتجها الفطرة لا الصنعة، خبئي جسدك، وتدرجي في كشفه، فالمحبُّ يأسرُ بالحجب: لأنَّ الجسد فردوس، لا تناله النفوس بسهولة، ولا يُعرف إلا بالمراتب.

لكنهم سائرون  
 توهج في الليل  
 قنديلهم ؛  
 فصاحوا :  
 لقد أبصر المبصرون  
 نرى إمبراطورنا  
 عارياً  
 فما بالهم ساء  
 ما يعبدون !  
 وغنوا لما سوف يأتي  
 أتى  
 ذئابُ  
 غيابُ  
 عذابُ  
 منون !  
 وسيقوا إلى نارهم  
 ساطعين  
 وقيل : قفؤهم  
 فهم مُحضرون  
 تجلّى  
 فلم يسجدوا هيبةً  
 ولم يستروا عريه  
 بالجفون  
 ولم يحرسوا  
 ضحك أطفالهم  
 فأطفالهم - بعد - لا يضحكون  
 وليس لهم ثمّ  
 جبانة  
 ففي حبة العين هم يدفنون  
 أيا شرق

يا ملكوت الظلام  
لماذا يفارقنا المشرقون؟  
فمن أغضبوا  
زوجة الإمبراطور  
ناحت أجنتهم في البطون!  
ومن أخجلوا  
«ظلّ أبنائه»  
نوافذهم أغلقت  
من قرون  
ومن خدشوا  
حفله بالصراخ  
إلى الآن في قبرهم  
يصرخون !!  
لهم في السماء  
إله غفور  
فآلهة الأرض لا يغفرون  
لنا ثروة الفقر :  
راتب شهر  
وسقف  
وعائلة  
وديون !  
مسابقة الكلمات  
«المسلسل»  
ليل الخميس الذي تعرفون !  
فكاهات مولاي «عادل إمام»  
وزيجات  
جارتنا الحيزبون !  
شجاعة إيماننا الكروي  
بأبطالنا  
عندما يهزمون

روايات «محفوظ»  
 شعر «نزار»  
 نكات  
 تُسيّس بعض المجون  
 عتاب الصداقة  
 شاي الوداد  
 شوارع تكره  
 من يكرهون  
 شجار الرضا  
 في أماسي القناعة  
 أطفالنا  
 عندما ينعسون  
 نصيحة أم  
 ببعض التسامح  
 في عالم متخم  
 بالضغون  
 ولطمة كفّ الأبوة  
 تهوي  
 على خدّ من هان كي لا يهون  
 و«باص السعادة»  
 حين يمرُّ  
 ونحن على حسرةٍ  
 واقفون!  
 و«فيروز»  
 تطردها «أورشليم»  
 فتحضن  
 صرختها  
 «راجعون»  
 تلاوة «رفعت»  
 حين تزفُّ

ملائكة  
 للسماء يعرجون!  
 ألسنا جميعاً على ما يرام  
 لماذا إذن  
 يشمت الشامتون؟  
 وقفت على مدن الذكريات  
 وغريان نسيانها  
 يمرحون  
 تلقت  
 ثم خراب أنيق  
 وموتى  
 ولكنهم ينسلون  
 ومررت  
 كوابيس مرضى الحروب  
 وأشباح آلاف من ينزفون  
 ومرّ أبي  
 - يا جنوب المحبة  
 نم  
 - فملائكتي ساهرون  
 ومرّ  
 شذا الروح في الأبدية  
 مرّ مقاتلة خالدون  
 ومرّ  
 «أبو الطيب المتنبي»  
 وحيداً  
 كما ينبغي أن يكون  
 تنقّست  
 يا صوت كن مبصراً  
 وكن ممطراً  
 إننا مجدّبون !!

ويا صوت  
 إنَّ السفينة تدنو  
 وبخّارة الغيب  
 لا يبطئون  
 خسرنا السباقين  
 والفائزون  
 بجائزة اليأس لا يربحون !!  
 صرخت بمولاي :  
 إنَّ الجراد  
 أتى  
 والمشائيم لا يابّهون  
 مخانيث  
 حاضت سراويلهم  
 وهم في مقاعدهم  
 «يغنجون»  
 وأوطانهم  
 تحت أباطهم  
 إذا أكملوا بيعها  
 يرحلون  
 رمى التّيه  
 أشأمّ سكانه  
 وبشرهم  
 إننا مغرقون !  
 رعاياك  
 في الخوف  
 فكّر لنا  
 فنحن - كما شئتنا - عاجزون  
 - إلى السور  
 - أسوارنا هدمت  
 - إلى البيت

- في بيتنا يسكنون  
 - إذن فاهربوا الآن  
 - لا  
 فالرصاصة أسرع  
 من ظهر من يهربون  
 تلقت  
 كان صديقي اللدود  
 كسكينة  
 سنّها يأسون  
 يطلّ على غابة الآخرين  
 سريعاً  
 ويصطاد  
 وعل الظنون  
 وينصحي  
 كن صباح غنائك  
 كن ليله  
 إنهم هالكون!  
 ولا تمتلئ  
 ببكاء سواك  
 وقل جائع  
 دون واوٍ  
 ونون  
 بكى موقد  
 يا طهارة الفجيرة  
 ماذا على لحمنا تطبخون؟!  
 معي مطر  
 في سماء الكلام  
 فيا غيمتي  
 أين من يُخصبون؟  
 معي تائهون

بلا موطن  
 لهم وطن  
 أهله تائهون  
 معي من حروب جنود السلام  
 سلام الجنود  
 وهم يعبرون  
 صعيد من الحزن  
 والكبرياء  
 إذا خانه زمن  
 لا يخون !!  
 ونيل هو الدمعة الأزلية  
 منديلها  
 شجر الزيزفون  
 مغارب شمس أمومية  
 إلى الله  
 من جبرها  
 يصعدون  
 تلقَّتْ  
 كانت هناك بلادي  
 وكانت تضيء  
 وهم مظلّمون  
 كتبت عن الخوف  
 تعويذة  
 تليق بأخر مُهر حرون  
 ومن حق حراس «وهم الحداثة»  
 إقصاؤها  
 عن رصيف الفنون  
 ففي العود متسع للجميع  
 وفي اللحن  
 يمتحن العازفون !!

أنا تابع  
لصحاب مضوا  
وأمضي  
ولي مثلهم تابعون  
يمرون بالعشق مرّ الشهيد  
وتبقى البلاد التي يعشقون  
إذا أنكر الباسمون الشفاه  
وخان المدامع  
من يدمعون  
فـ «مصر» التي كنت عرابها  
ستعرفني  
عندما ينكرون!!  
أنا حارس الضوء  
في ليلها  
وأصدق من باسمها  
يولدون!!

---

\* شاعر مصري يقيم في القاهرة .

اسكنني إليه في كلِّ حالٍ، فحالُ العاشقِ بابٌ لا يُدقُّ أو يستأذنُ في الدخولِ إليه، إنما هو قدرٌ محتومٌ مكتوبٌ قبلاً، ومفتوحٌ، وقد يقع التأخرُ في الوصولِ.

\*

ليكن كلُّ شيءٍ عندك بمقدارٍ، فلا تطفئي نورَ لهبك مرَّةً واحدةً، لأنَّ المحبوبَ يجوزُ إلى دارِ محبهٍ حتى قيامِ الساعةِ، وعلى ناركَ أنْ تظلَّ هكذا مشتعلةً، وإلا وقع الهلاكُ وتمَّ.

\*

لا تهجري عاشقك، إلا إذا ارتكبَ كبيرةً، حتى لا تهلكي، فقد هلكتُ قبلك نساءً كثيراتُ. قال الشعراني: «ومعنى رأيتَه مرتكباً كبيرةً: العلمُ بذلك ولو بيّنة، فلا يشترطُ في جوازِ الهجرِ، رؤيةُ الهاجرِ لذلك العاصي ببصره، لذلك قال سيدي علي الخوَّاص رضي الله عنه: شرطُ جوازِ الهجرِ علمُ الهاجرِ بوقوعِ المهجورِ فيما هجرَ يقيناً لا ظناً أو تخميناً، فلا يجوزُ لك من غيرِ تحقيقٍ وثبَّت...».

\*

نصيحتي ألا يكونَ سكوتُك أكثرَ من كلامك، ولا كلامك أكثرَ من سكوتك. فالليلُ خيمه صمت، لكنّها تنوِّقُ إلى كلامِ الصمتِ، وصمتِ الكلام. والكلامُ في الحبِّ لا يحفظُ ولا يعادُ، ولا يستعارُ، لكنه ابنُ الحالة والحال واللحظة والآن والفعل، استخدمني ما أُوتيت من فتنَةٍ راحمةٍ في الكلام، فالعينُ تقولُ واللِّسانُ واليدانُ والأصابعُ وسائرُ كنوزك تصلُّ بك إلى الجَنَّةِ التي تسعى إليها أيُّ امرأةٍ وتتوقُّ. واعلمي أنَّها بين يديك لو أرَدتِ.

\*

طينتك حيَّةٌ بالحبِّ، وتجلِّك منقوشٌ فيها، وذاتك نورانيَّةٌ، بحرُها لا ساحلَ له، فخذني عاشقك إلى بحرٍ، أجعليه يغرقُ، ليكن الذي لم يكنه، ويخلفُ بأنَّ حياته ولدتُ من غرقٍ دائمٍ، وأن ثانيته الأخيرة حلتُ، لما تحوَّلت عنه، وحجبت بحرُك عن فمه، ففارق الغرق، وفارق الحياة.

دعي قلبك يشهدُ إليك، ولا تدعي الشوقَ ينقصه، اسأليه ولا تسألي مفتياً، غامري، ولتكن عيناك صافيتين - وهما تتوجَّهانِ إلى عاشقك -، وذراعاكِ مدينتين، وهما تجولانِ في حقلِ جسده، لا تقصري عن شيء أردته قبيل لُفياه، لأننا لا نشرب الماء مرتين، ولا ندرك اللحظة أبداً إذا خطفها القوتُ.

\*

وأنتِ تحبين، اعلمي أنه ليس في الأرض سواكِ من نساءٍ، وعندما تتجرَّدين تجرّدي من الدنيا، فمثلك نال مرتبته، لما ذاق وانتشى، وغابت روحه عنه.

\*

كُوني رافده في العقل والروح والنفس والجسد، وأسطورته في الدنيا والآخرة، ومعراجهُ ليرفُك، وقطبة ليتلغى عنكِ الأسرار.

\*

لأنه حينَ يعشقُ يجنُّ، ويهلك في صحراءٍ محبوبه، فامشي إليه باسمِ حروفكِ، وباسم من سبقك في العشق، لكنهن لم يرتقنَ إلى مرتبتكِ.

\*

أشجارك تتكلم، وأحباركِ تنطق، وطُيوركِ تكتب وتغني، فلا تهمليه في حوارٍ أو حديثٍ، لأن في المحو موتاً، وفي الإقصاء غربة. ويقول شيخنا إمام الغرباء أبوحيان التوحيدي: «الغريب من جفاه الحبيب».

\*

كُوني ديوانه، فأنتِ زمانه وأبداله وأوتاده، حيث إنكِ زمانه الدائري المتصاعد، الذي هو زمن الأزمنة.

لا تَقْطِعي معه ولو لثانيةٍ واحدةٍ، فالقطيعُ داءٌ لا دواءَ له والعشقُ وصلٌ بالروح والجسدِ، فاتحدي به وحليّ.

\*

خليّه في حيرةٍ، لكنّها حيرةُ الواثقِ المؤمنِ بك لتكوني مثارَ تأويله، وليكتشف لاوعيكِ.

\*

كوني عصا محبّك، بحيثُ لا يستطيعُ أن يملك من أمره شيئاً دونك.

\*

هبيه ناركِ فجراً وليلاً، ولا تحشي النهارَ، فالحبُّ لا وقتَ ولا لغةَ ولا مكانَ له، فاطهري له أينما كانَ، وانتشي في هوائه، دونما أنْ تضربي طوقاً حوله.

\*

لا تُخْضِعي قلبه لنزواتِ غضبك، فالغضبُ داءُ الزّمانِ، لم تسلّم من شروره أُمّ.

\*

هو في ذاتك، فارفعيه وجردّيه، وصفّيه من ترابِ طبينته، واعلمي أنّهُ العاشقُ إذا استقرّ في زواياك الأربعِ يسكنُ، وقديماً قال شيخُنَا : «كلُّ شوقٍ يسكنُ باللقاء، لا يعولُ عليه».

\*

لا تخجلي من صرختكِ التي تشقُّ اللَّيْلَ، وتُحيي النجومَ بعد موتها، ففي سُكْرِ الصراخِ حياةُ العاشقِ، وفيه بعثُ حبّك.

بَلِّبِهِ بَعطركِ، فالعُطرُ يَفْتَحُ ما عُلِّقَ، ولا تُسْرِفِي كثيراً في أنواعِ روائحه، كي تكونَ لكِ رائحةُ  
تمتازينَ بها عن سائرِ النساءِ، يحفظُها قلبُ عاشقكِ كتاباً أبدياً.

\*

اعلمي أنَّ الحبَّ يَبْقَى أبداً، لا تَغَيِّرُهُ المادَّةُ، ولا تَحَوِّلُهُ الأزمانُ، فحذارِ أن يتخربَّ قلبكِ بالمظاهرِ،  
وتتخدعي بهامشِ القولِ وظاهرِ الكلامِ، فالمتنُّ جُؤاكِ، ومتى كانَ الحكماءُ يَعُولُونَ على الهامشِ؟

\*

عَلِّمِيهِ كَيْفَ يَرْعَى حَبَّكَ النَّادِرَ، وَيُغْنِي كَمَلَكَ كُلَّما مَسَّكَ، دَفْنِي جَسَدَهُ مِنْ بَرْدِ الشَّكِّ، أَنْبِئِيهِ بِسَرِّ  
بساتينكِ.

\* شاعر مصري يقيم في القاهرة .

- مقاطع من كتاب يصدر للشاعر بالاسم نفسه عن الدار المصرية - اللبنانية في القاهرة .